قصة قصيرة

قصة: بنت طموحة

د. محمد أجمل *

في مدينة صغيرة هادئة، حيث تتناثر الأحلام مثل أوراق الخريف، نشأت الفتاة المثقفة ماريا في منزل بسيط مع والدتها العجوز. كانت الكتب رفيقتها الدائمة، وكانت تؤمن بأن المعرفة هي المفتاح لكل الأبواب المغلقة.

كانت ماريا منذ صغرها تراقب والدتها تكافح لتوفير لقمة العيش بعد وفاة والدها. كان قلبها ممتلئًا بحب لا يوصف لهذه المرأة التي ضحّت بكل شيء من أجلها. ومع مرور الأيام، قررت أن الوقت قد حان لترد لها الجميل، فبدأت تبحث عن وظيفة تساعدها على تلبية احتياجات والدتها واحتياجاتها الخاصة.

رغم شهادتها الجامعية وثقافتها الواسعة، لم تكن الحياة كريمة معها. طرقت أبواب الشركات والمكاتب، لكن الردود كانت مخيبة للآمال. "نحتاج إلى خبرة"، "سنعاود الاتصال بك"، "المكان محجوز"، كلمات باتت تؤرق ليلها الطويل. لكنها لم تيأس، فكل سقوط كان يدفعها للنهوض بقوة أكبر.

ذات يوم، بينما كانت تجلس في المكتبة العامة غارقة في قراءة إحدى الروايات، اقتربت منها سيدة أنيقة تبدو في منتصف العمر، نظرت إلى الكتاب الذي بين يدي ماريا، وابتسمت قائلة:

"أنتِ تقرئين هذا الكاتب؟

نادرًا ما أجد من يهتم بأعماله."

ابتسمت ماريا وأجابت بحماس:

"إنه من المفضلين لدي، أجد أفكاره ملهمة."

دار بينهما حديث طويل عن الأدب والثقافة، وأدركت السيدة أن ماريا ليست فقط فتاة مثقفة، بل تملك ذكاءً ونضجًا نادرين. في نهاية الحديث، كشفت السيدة عن هويتها، فقد كانت مديرة دار نشر تبحث عن موظفة متميزة لإدارة المحتوى الثقافي.

---

* أستاذ مساعد بمركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو – نيودلهي

كانت تلك اللحظة بداية فصل جديد في حياة ماريا. حصلت على الوظيفة التي لطالما حلمت بها، واستطاعت من خلالها مساعدة والدتها وتحقيق استقلالها. أدركت حينها أن الأبواب لا تُغلق أبدًا أمام من يؤمن بحلمه، وأن الثقافة ليست مجرد كلمات في الكتب، بل نور يقودنا إلى مستقبل أفضل.

بدأت ماريا عملها في دار النشر بكل شغف، كانت تمضي ساعات طويلة بين الكتب والمخطوطات، تدقق في النصوص، وتقترح أفكارًا جديدة، وتساعد في اختيار الأعمال التي تستحق النشر. لم يكن الأمر مجرد وظيفة بالنسبة لها، بل كان تحقيقًا لحلمها بأن تكون جزءًا من عالم الأدب والثقافة.

كانت والدتها تراقبها بفخر، وترى في عينيها بريق الطموح الذي لم ينطفئ رغم كل الصعوبات. لم تعد ماريا تقلق بشأن المصاريف، وأصبح بإمكانها شراء الدواء لوالدتها دون أن تشعر بثقل الأمر. كما أنها بدأت تدخر بعض المال لتحقق حلمًا آخر كانت تخبئه في قلبها، وهو إكمال دراستها العليا.

لكن الحياة لا تخلو من التحديات. بعد بضعة أشهر من عملها، تلقت ماريا مهمة صعبة: كان على دار النشر إصدار كتاب جديد لكاتب معروف، وكان الموعد النهائي يقترب بسرعة. كان عليها مراجعة الكتاب بكامله خلال أيام قليلة والتأكد من جودته.

لم تنم ليلتها الأولى، كانت تجلس أمام الأوراق، تقرأ وتعدل، تضع ملاحظاتها بدقة، وتشعر بثقل المسؤولية. لم يكن مجرد عمل، بل اختبارًا حقيقيًا لمهاراتها. في اليوم الأخير، سلمت العمل للمديرة، التي قرأت المراجعة بعناية ثم رفعت رأسها وقالت:

"لقد قمتِ بعمل رائع، ماريا!

هذا الكتاب سيكون أحد أفضل إصداراتنا."!

لم تصدق ماريا أذنيها! كانت تلك الكلمات بمثابة وسام فخر لها. شعرت لأول مرة أنها ليست مجرد فتاة تبحث عن وظيفة، بل أصبحت عنصرًا مهمًا في عالم الثقافة.

بعد نجاحها في هذا المشروع، حصلت ماريا على ترقية في العمل، وأصبحت مسؤولة عن قسم التحرير في دار النشر. كان ذلك يعني زيادة في الراتب، مما ساعدها على تحسين حياة والدتها أكثر، بل بدأت في كتابة مقالات أدبية تُنشر في المجلات الثقافية.

وذات يوم، بينما كانت تمشي مع والدتها في السوق، توقفت أمام مكتبة، حيث رأت كتابًا جديدًا على الرف يحمل اسمها كواحدة من المحررين الرئيسيين. شعرت بدموع الفرح في عينيها، والتفتت إلى والدتها التي احتضنتها بفخر قائلة:

"كنتُ أعلم أنك ستصلين إلى هنا يومًا ما."

ابتسمت ماريا، وأدركت أن رحلتها لم تكن سهلة، لكن كل تحدٍّ واجهته كان يستحق العناء. كانت الآن ليست فقط فتاة مثقفة تبحث عن وظيفة، بل امرأة صنعت لنفسها مكانًا في عالم الأدب، وأثبتت أن الأحلام تتحقق لمن يؤمن بها.

مرت الأيام وماريا تزداد تألقًا في مجالها، وأصبحت شخصًا لا يمكن الاستغناء عنه في دار النشر. كانت تتابع كل ما يُنشر، وتساعد الكتاب الجدد في إبراز إبداعاتهم، بل أصبحت تقدم ندوات عن الأدب والكتابة، حيث تشارك شغفها مع الآخرين.

في إحدى الأيام، تلقت ماريا دعوة لحضور مؤتمر أدبي دولي في العاصمة، حيث ستلتقي بكُتاب ومحررين من جميع أنحاء العالم. لم تصدق الأمر في البداية، فقد كان حلمها أن تشارك في مثل هذه الفعاليات، لكنه الآن أصبح حقيقة.

سافرت ماريا برفقة مديرة الدار، وعاشت تجربة لا تُنسى. جلست في قاعات ضخمة، استمعت لمحاضرات ملهمة، وتعرفت على شخصيات أدبية بارزة. وبينما كانت تتحدث مع أحد الناشرين الأجانب، سألها عن أحلامها المستقبلية. ترددت قليلًا، ثم قالت:

"أريد أن أكتب كتابًا يحمل قصتي، ليس فقط عن رحلتي في العمل، بل عن كفاح كل فتاة تسعى لتحقيق ذاتها رغم الظروف."

ابتسم الناشر وقال: "أعتقد أن هذا كتاب يجب أن يُكتب."

عادت ماريا إلى بلدها وهي تحمل في قلبها حلمًا جديدًا: أن تصبح كاتبة. بدأت بكتابة مذكراتها، سردت فيها تفاصيل رحلتها، والتحديات التي واجهتها، واللحظات التي شعرت فيها باليأس، والانتصارات الصغيرة التي قادتها إلى ما هي عليه اليوم.

كانت تكتب في الليل، بعد أن تنام والدتها، تجلس على مكتبها الصغير، وتترك أفكارها تتدفق على الورق. وبعد أشهر من العمل الجاد، انتهت من الكتاب. أرسلته إلى دار النشر، ولم تمضِ أسابيع حتى جاءها الرد:

"نريد نشر كتابك. إنه ملهم وسيصل لقلوب الكثيرين."

عندما طُبع الكتاب، لم تصدق ماريا عينيها وهي ترى اسمها على الغلاف. أقيمت لها جلسة توقيع في إحدى معارض الكتب، حيث اصطف الناس للحصول على نسخة منها. جاءت والدتها وجلست في الصفوف الأولى، تنظر إليها بفخر وعينها تلمع بالدموع.

وحين جاء دورها لتتحدث أمام الحضور، أمسكت الميكروفون وقالت بصوت ثابت:

"هذا الكتاب ليس مجرد قصتي، بل قصة كل شخص ناضل ليحقق حلمه. أريد أن أقول لكل فتاة تقرأه: لا تستسلمي، حتى لو ظننتِ أن الأبواب مغلقة، هناك دائمًا طريق لمن يبحث عنه."

ارتفعت أصوات التصفيق، وشعرت ماريا بأن هذه اللحظة هي أعظم انتصار في حياتها. لم تعد فقط بنتًا مثقفة تبحث عن وظيفة، بل أصبحت كاتبة ملهمة، تركت أثرًا في قلوب الآخرين، وأثبتت أن الأحلام تتحقق بالصبر والمثابرة.

..... ❖❖❖❖❖ .....